نماذج تراسلية بين البعثة السلاوية في المشرق العربي وأعضاء الحركة الوطنية المغربية

وردت على أعضاء البعثة السلاوية رسالة جوابية من السيد أحمد بلافريج بعث بها من مدينة منروج بفرنسا في 8 فبراير (؟) هذا نصها :

إخواني الأعزاء،

تناولت بيد السرور ورقة تهنئتكم. أشكركم كثيرا وأرجو المولى أن يعيده وبلادنا ترفل في ثوب العز والسعادة.

في هذا الأسبوع فقط رجعت من الوطن حيث قضيت شهر رمضان وكذلك الآخ الفاسي والناصري وهما لحد الآن لم يرجعا.

وقد سررت بوجودكم في الكلية الإسلامية لما أسمعه عنها من الحزم والعناية بالثقافة العربية الإسلامية؛ وسررت أيضا بوجودكم في بيروت لما أحمله في قلبي من العطف والحنان لتلك البلاد التي زرتها منذ سنتين، ولما جبل عليه أهلها من رقة الطباع والعناية بالضيف. وكيف لا يكون ذلك والشام مهد حضارتنا ومركز ثقافتنا الأول.

لقد خابرني السيد محمد بن مبارك في الرباط في شأن إرسال ابنين له إلى بيروت بقصد التعلم ، فهل لكم أن تفيدونا عن سير التعليم عندكم وكيفية الالتحاق بالمدرسة حتى يمكنني أن أجاوبه.

ولعلكم قابلون بكليتكم على الإدراك والتحصيل مطمئنون في غربتكم. أقر الله بكم عين بلادكم وجعلكم من بررة أبنائه.

أخوكم أحمد بلافريج

وفي رسالة وجهها الحاج أحمد معنينو إلى سعيد حجي بدمشق بتاريخ 14 شعبان 1350 موافق 25 دجنبر 1931 يقول فيها بعد الحمدلة:

الأخ العزيز سعيد حجي سلاما وتحية،

وبعد، فما السبب ياترى في هذه المقاطعة الكبيرة ولست بأجنبي ولا أذنبت، وباب العفو مفتوح، بل الذي أتحققه هو اشتغالكم بالدروس، ولكن ما كان ليمنعك من خمس دقائق لكل شهر تتذكر فيها أخاك الذي لا يغفل عنك الشهر كله والله شاهد على كل شيء. عزيزي، من الواجب عليك أن تراسلني شهريا على الأقل كما وعدتني، فلقد طال تشوقي إلى ما عساه أن يأتى منك، ولكن هيهات ... بالله عليك أن تتذكر إخوانك البؤساء فتحيي فيهم عرق الأمل الذي لولاه لهلكوا من شدة ما هم فيه من اضطهاد ونفي وحبس وتعزير والأمر لله. نسيتم لا والله إنما وقع منكم ذلك غلطا، أستغفر الله لي ولكم، وجدتم نفسكم بين قوم أحياء، العلم والتقدم شأنهم، الحياة والمروءة شيمتهم، هنيئا مريئا أيها الأخ، بجلوسكم هناك وغربتكم في طلب العلم، أما نحن فلا العلم نجده، ولا الحرية نتمتع بها إنا لله إخوانك تحسب أنفاسهم ولحظاتهم، فإن أنوا وزفروا أو تاوهوا عدت جريمتهم كبرى وطلبوا للمحاكم وقرئ عليهم قول الشاعر العراقي الكبير: « ياقوم لا تتكلموا ... إن الكلام محرم »

صديقي، عفوا أيها الصدوق عهدتك أخا في الشدة والرخاء، وحاشاك أن تتبدل، فوالله ما أظن ذلك التقصير إلا غفلة ، وعليه فأخاكم ينتظر منكم تفريج همه بكتاب حاوي كل النفائس كما عودتموه. أما نحن فلا أظن أنكم غير مطلعين على ما عندنا، فإن الأمور ما زالت كما هى، ولا شيء يستوجب الذكر سوى زيادة الذلة والمسكنة والسعاية بالأبرياء وكم الأفواه، فإخوانك حرموا كل لذة الحياة، فلا هم أحرار في تعلم العلم ولا الخروج إلى الخارج؛ لهذا تراني أيها العزيز مشتاقا لما يأتي منكم ولو بطريق الاختصار، إذ لا يخفاكم أن

سائر الجرائد المشرقية منعت عن الدخول سوى « الأهرام » من مصر، وهى التي نتتبع بها أخبار المؤتمر الإسلامي في القدس، كما بلغتنا مجلة سورية تحت اسم الرابطة الإسلامية، ولا ندري أيمكن أن تتركهم الحكومة أم تمنعهم لأن المنع، كما لا يخفاك، بيدهم ولا دخل لأحد فيه.

عزيزي، أدلك على صديق بدمشق يسمى السيد السعيد الحبيب وهو من الجالية الجزائرية التي ذهبت صحبة عظيم القدر السيد عبد القادر الجزائري للشام، والمكان الذي هو به موظف هناك دائرة البريد والبرق، ولقد كتبته وعرفته بكم وأنكم بدمشق كما بلغني غير أني ما زلت أجهل العنوان الخاص بكم هناك، لهذا تراني أقدم لكم هذا الكتاب بواسطة الأخ عبد المجيد، وأرجو منكم زيارة الرجل بالمحل المذكور، فإنه نعم الأخ الصدوق، كالمرغوب منكم أن تدلوه على ما يمكن أن يدخل المغرب من جرائد الشام من دون حرج للجميع لأنه وعدني بالإرسال وطلب مني البيان عن الجرائد التي تصل إلى المغرب والتي لا تصل، وذكر لنا ثناء عظيما على جريدة هناك تسمى « اليوم » وعليه فنبهوه أن يرسلها لأنها فيما أظن غير ممنوعة الدخول، كما أرجو من جنابكم إن صدر كتاب أو مجلة بها أعمال المؤتمر بالتفصيل أو تصاوير أعضائه أو ما له علاقة به فلا بد من توجيه ذلك إلينا حتى نكون على علم بمجريات الأمور، ولكم الشكر.

عزيزي، أخبركم أنني زرت مدينة فاس والقرويين واجتمعت بالأحباب وكلهم يغبطونكم ويرجون لكم التقدم والنجاح في مسعاكم، وقد نظمت الجامعة القروية كما لا يخفاكم لكنها ما زالت غير تامة. أما بلدتنا سلا فالإخوان بها مقبلون على الدروس. والنادي لم يفتح ولو مرة منذ فرقتمونا ووالدكم وأخواكم محمد وعبد الرحمن كلهم بخير، وأطلب منكم مشاركة الأخ عبد الكريم في هذا لأن الخطاب عام لكما، وإني أستمد لكما العون من الله والتوفيق لأقوم الطرق، مسلما عليكما سائر الأصدقاء ودمتم محفوظين والسلام.

أخوكم الحاج أحمد معنينو دامت سلامته

ومما كتبه السيد أبو بكر القادري في رسالة بتاريخ 4 اكتوبر 1932 :

أخي العزيز السيد سعيد حجي سلاما واحتراما

وبعد، فالموجب له أولا السؤال عنكم ثم إخباركم أننا وضعنا الخطة التي نتمشى عليها في مسألة الدراهم، وقد أحصينا القدر الذي يدخل علينا شهريا فوجدناه لا يفي بالمراد ...

« الوداد » : قد اتفقت مع الإخوان مصطفى الغربي والصديق بن العربي على وضع برنامج له لأنه لا يمكننا أن نتمشى مع البرنامج القديم، وقد عينا يوم الجمعة للاجتماع، فنرجو رأيكم في هذه المسألة، إذ أنني لما اجتمعت مع الأخ مصطفى أخبرني أنه لا علم له بها، وغاية ما هناك أنك أخبرته بصدور نشرة في سلا يقوم بها بعض الأفراد.

« أخبار »

- رجع السلطان من باريس، ولحد الآن ليس عندنا خبر صحيح بما يكون. ويشاع أن المقيم قد عزل؛ وسمعنا أن ابن البغدادي على قاب قوسين، وذلك لأسباب أهمها مسألة الوزاني؛ فقد جاءه تهديد من باريس على هذا الفعل، وادعى أنه لم يفعل ذلك حتى تشاور مع الاستعلامات؛ أما الاستعلامات والمراقبة فادعوا أنهم لا علم لهم بذلك.

- قد رجع الأخ عمر بن عبد الجليل من باريس وجاء إلى الرباط، وقد اجتمعت به عند السيد اليزيدي، فسألني عنك كثيرا، وقد دفعت له ما بقى علينا من الشهر الفارط 75 فرنكا، وقد أخبرني بأن الوزاني سيحكم عليه بالنفي إلى غياثة بناحية تازة، كما أن المقيم قد عزل، وأن منع المجلة قد زال من وزارة خارجية فرنسا، ولحد الآن لم نر قرارا ولا غيره عندنا وقد سافر وواعدني بالرجوع إلى سلا يوم الجمعة الآتي.

- قد عزم الأخ عبد اللطيف الصبيحي على الذهاب إلى باريس، وما زال ينتظر الإذن من الحكومة. وقد شيع بعض الأفراد أنه تنازل عن القضية تماما، ولكن الذي يظهر أن ذلك كله كذب. هذا والمطلوب منك أن توافينا بكل ما عندك من أخبار وغيرها، والسلام.

أبو بكر القادري

وفي رسالة بتاريخ 17 نونبر 1932 يقول الحاج أحمد معنينو:

الأخ العزيز السيد عبد الكريم حجي

تحية وسلاما،

وبعد، فقد ورد كتابك المعبر عما في ضميرك الحر من حب العمل لنجاة الوطن المفدى، فنعم الإبن البار أنت أيها الأخ العزيز كثر الله من أمثالك، وسهل للجميع طرق الاتصال والتضامن على العمل المنتج لخير البلاد والعباد.

عزيزي، إن تقدمكم للامتحانات في الجامعة سرنا كثيرا، نرجو لكم التقدم والنجاح في سائر مشروعاتكم الحسنة، متعكم الله بالصحة ودوام العافية وأمدكم بمعونة من عنده كى تقوون على العمل. ولقد بلغنا أن الأخوين عبد المجيد وعبد الهادي انتقلا لدمشق وانخرطا معكما بالجامعة فما هو السبب في خروجهما من الكلية الإسلامية؟

عزيزي، بلغ سلامنا لجميع الإخوان بطرفكم، وخصوصا الأخ الحبيب الشيخ محمد عدنان الجزائري، وذكره بالأمر الذي كنت كلفتكم به وهو قضية الأخ محمد المير الذي وجه له مائة فرنك بواسطة البريد الفرنسي وطلب منه بعض الأشياء غير أنه لم يتصل بجواب يفيد الوصول أو النفى، فلا بد من المبادرة بالكتابة لنا في هذه القضية مع الإلمام ببعض أخبار سوريا وما يجري فيها اليوم لأن مغربنا لا يخفاك أمره من ناحية الصحف.

أخي، المرغوب من أخوتكم أن تخبروا الأخ عبد المجيد أنني وجهت له هذه المدة أعدادا كثيرة من جريدة « السعادة » للكلية الإسلامية ولم نتصل منه بخبر، فهل بلغه ذلك وهل نداوم على توجيهها له للكلية المذكورة أم إلى غيرها، وذكره بوعده الذي وعدنا أن يوجه لنا بعض الصحف التي نجد بها سلوى وكل ما هو عالق بالناحية المشتركة بيننا، وقد وجهنا لكم بيانه الذي في الكتاب قبل هذا كى تحصلوا على الخبر الذي يهمكم، وقد وجهنا لكم العدد 4 من مجلة « المغرب » العربية كى تطلعوا على ما فيها، والسلام.

الحاج أحمد معنينو وفقه الله

ومن رسالة للسيد أبي بكر القادري حاملة لتاريخ 2 شعبان 1351 موافق فاتح دجنبر 1932 يقول فيها:

أخي العزيز الوطني الغيور السيد عبد الكريم حجي

سلاما واحتراما،

وبعد، فقد وصلني كتابكم وكنت متشوفا لورود كلمة منكم ولست أخفي عليكم ما كان للهجته المؤثرة الصادقة من أثر عميق في نفسي ما لا يمكنني أن أصوره لكم، ويكفي أن ذكرني بإخلاصكم وتوددكم نحو أخيكم.

أخي، إن لنا آمالا عظيمة فيكم، فكونوا عند الظن بكم وثابروا واجتهدوا حتى ترجعوا لوطنكم وأنتم مصابيح يستضاء بكم متمسكين بدينكم وقوميتكم.

أخي، قد طلبت مني في كتابك أن نضمن لك في الجواب ما نستطيع إخبارك به من الأمور المهمة، وخصصت المكتبة التي تركتها في طور النشء، والسادات الذين كان عزمهم أن يرسلوا أولادهم إلى تلك الديار. أما المكتبة، فقد كتبنا للأخ السعيد بتفصيل في شأنها وما وصلت إليه، فهو يطلعكم على كل ذلك. وأما السادات الذين أرادوا أن يرسلوا أبناءهم إلى تلك الديار، فقد تركتهم ينتظرون رجوع السلطان من باريس ليأذن لهم، وقد جاء ولم يظهر أثر وما زالوا ينتظرون.

أخي، حيث أنك في اشتياق إلى الأخبار المفيدة، فإني سأقص عليك ما هو واقع اليوم بمغربنا المسكين.

مات الظالم الغاشم قائد فاس بوشتى بن البغدادي، فما كاد الخبر يشيع حتى استبشر سائر الأفراد (ونعني بهم المومنين) وقد شيعه عدد عديد من الخائنين والمستعمرين، وقد صنعوا له صندوقا على شكل أوربي كى لا يمس بأذى من تراب ونحوه، ولكن أبى الله إلا أن يعذبه ويمثل به، فإنهم لما أرادوا حشره في القبر لم يتسع له على كبره، ففتحوا

الصندوق وأخرجوه منه ووضعوه على الأرض مباشرة، فرغم ذلك لم يتسع حتى حفروا بجانبه (وبجانب قبر آخر لشريف) ودفعوا رأس الشريف، هنالك أمكن لهم أن يضعوه بمشقة وقد انتفخ بطنه حتى أن اللحد وضع على جسمه، كما خشوا أن يحفر عليه أعداؤه ويحرقوه أو يمثلوا به، فاتخذوا الاحتياطات وصارت العسة تبيت بالزاوية التي هو مدفون فيها.

وقد قيل في رثائه ومدحه (!!!) عدة قصائد من موزون وملحون؛ ومن جملة ما ضمن صاحب قصيدة من الملحون أنه أراد أن يتعبد في يوم من الأيام، فحمل جزء يسبح وقرأ سورة « سبح » فلما بلغ قوله تعالى « غثاء أحوى » تعجب كثيرا (وتساءل عن معنى هذه الآية، لعنة الله عليه إلى يوم القيامة) .

يوم شوقي بفاس:

سيصلك صحبة الكتاب عدد من جريدة « السعادة » لتطلع فيه على ما راج في هذا اليوم الذي يعد أول يوم من نوعه، وقد حضرت هذا الاحتفال صحبة إخوان آخرين كى نمثل بلدتنا.

أخي، أرجو أن تكون صحتكم جيدة وأن تكونوا مسرورين من حياتكم المدرسية الجديدة. أما أخوكم فهو بخير والحمد لله وعلى أتم ما يرام.

بلغ سلامي لكافة الإخوان عبد المجيد وعبد الهادي وسعيد وسائر من حفه مجلسكم السعيد، والسلام عليكم.

أخوكم أبو بكر القادري

استدراك:

عفوا أيها الأخ، فإني لم يمكن لي أن أخبرك بكل ما عندنا بالتفصيل لقصر الوقت، وبعد يومين أكتب لك أو للأخ السعيد عن كل ما عندنا حتى تكونا على بال من كل الوقائع.

وبعث سعيد حجي إلى أبي بكر القادري رسالة بتاريخ 4 فبراير 1933 هذا نصها:

أخي العزيز القادري، سلاما وتحية،

وصلني كتابك المؤرخ في 16 من الشهر الماضي وقرأته بإمعان تام واستفدت منه كثيرا.

1 - تجد للأخ الحاج أحمد معنينو رسالة مفصلة باسمه. فصلت له فيها كل المسائل المهمة. فلتقرأه معه، بل لتدرساه باعتناء واهتمام، ولتعملا بمقتضاه.

2 - أما المشروع الذي كنت عازما على عرضه على الإخوان بمصر فقد تأخر الآن، وهو عبارة عن أن أرسل إليك كل ما ينشر عن المغرب، وأنت تقوم بجمعه وترتيبه إلى حين رجوعنا، وعلى كل فإن أعداد الجامعة الإسلامية التي فيها رسالة المغرب سيصلكم عددان منها. أما بقية ما ينشر عن المغرب، فسأسعى كثيرا لكي أرسل لكم ما أستطيع وكذلك أرسل إليكم مجلة « العرب » أسبوعيا.

3 - أما التقرير الذي أكتبه، فهو طويل الذيل، يتناول المسائل الآتية:

تمهيد - تطورات الروح الوطنية في المغرب

القضية البربرية مفرعة إلى ستة أقسام

السياسة التجهيلية - يتفرع إلى سبعة أقسام

سياسة الإفقار، أي المسائل الفلاحية ومصائب الفلاح المغربي وغير ذلك مما يطول شرحه

حرية الرأي والاجتماع

سياسة الظلم وفقدان العدالة

سياسة الاستيلاء وأخطارها

خلاصة : ما هو مصير المغرب؟

هذه مواضيع التقرير الذي بوبته وفصلت سائر نقطه. على أني لم أتممه بعد، نظرا لطوله، فهو يقع في نحو مائتى صفحة على الأقل، بل ربما لا يتم إلا بعد ستة شهور، نظرا لصعوبة البحث واتساعه، إذ هو يتفرع في كل يوم، ويشمل في كل نقطة نقطا متعددة،

وهو محرر بعبارة وجدانية، أخاطب فيها المغاربة، وأنت تراه لا يعتمد على القضية البربرية دون غيرها، بل يشمل كل المسائل المهمة في حياتنا الحاضرة، وسأسميه: « القضايا السياسية الكبرى للأمة المراكشية » .

... تجدون طيه رسالة للأخ اليزيدي، فلتدفعها إليه، وقد ذكرت له فيها مسألة الذكرى (ذكرى الظهير البربري) ومحاولاتنا نحوها، ينبغي لكم أن تدفعوها إليه في ساعة تكونان منفردين فيها، إذ ربما يتحدث إليكم عما فيها، إذا أحب ذلك.

... ذكرتم أن المعلومين (الفرنسيين) يريدون تغيير برنامج التصرف في المغرب بأن يجعلوا زمام الحكم لبرلمان يكون فيه أعضاء فرنسيون، يتصرفون في المغرب كما يشاؤون، ولا تبقى سلطة لا لمقيم ولا لأمير، وتسألني عن رأيي. وأنا لا أستطيع الحكم في هذه المسألة بهذه الصورة المختصرة، فاكتبوا لنا بما يدور في المسألة، ولتبحثوا الإخوان المطلعين على الخبايا، وبعد ذلك نستطيع الحكم بعد دراسة الموضوع، على أنني أستطيع أن أخبركم بما عندي نحو هذه المسألة المهمة، وذلك أنه بعد حدوث حوادث القضية البربرية، أدركت السلطة الفرنسية في باريس سوء تصرف المقيم العام فيها وأخطاءه، وتذاكرت طويلا مع أفراد فرنسيين ذوي خبرة، فاستنتجت أن من الخطإ أن تبقى يد المقيم حرة في تصرفها بالمغرب دون مراقبة فعلية عليه، ولم يقتصر الأمر على المغرب، بل شمل أيضا تونس والجزائر، وفعلا فكرت الوزارة الفرنسية منذ سنة ونصف أن تؤلف مجلسا عاما يشرف على إدارة هذه البلدان الثلاث، وبعد ذلك قدم نواب فرنسيون يزيد عددهم على مائة، اقتراحا إلى الحكومة الفرنسية بباريس، بوضع هذا النظام موضع التنفيذ، لكن حدث على إثر ذلك أزمات وزارية تنوسى فيها الأمر، خصوصا بعد الانتخابات الفرنسية أخيرا التي جرت قبل الصيف الماضية، ولعل المسألة قد استيقظت من جديد، لكن لا نعلم أى اتجاه ستأخذ بعد ذلك، وعلى كل، أخبروني لنقوم بدرس المسألة مع الإخوان في أوربا.

سعيد حجي

وفي رسالة أخرى حاملة لتاريخ 14 شوال 1351 موافق 10 فبراير 1933 يقول السيد أبو بكر القادري:

أخي العزيز الغيور سيدي عبد الكريم حجي،

السلام عليكم ورحمة الله،

وبعد، أخي تلقيت بمزيد السرور خطابكم الكريم الذي صبغ على فؤادي صبغة الوداد والمحبة، فسحر القلوب بطيب حكمه وعالي تركيبه وأسر اللب ببلاغة تعبيره وصدق برهانه، فيا لك من أخ أديب مهذب.

أخي، رجائي أن يكثر الله من أمثالكم ذوي النفوس الأبية والعطف الديني والشعور الحي، فلنتعاهد أخي على العمل ما دامت وجهتنا واحدة كى نرفع منار الدين، وننشر تعاليمه الحية الحقة، وندحض هؤلاء الطاغين المضلين، ولنجعل رائدنا ومقصودنا في كل الأمور الإخلاص الدائم للأمة.

أخي، إننا نسعى بكل ما لدينا من قوة وعلى قدر الاستطاعة للقضاء على الاستعباد والاستعمار المشؤوم. وإن الطريق، وإن كانت صعبة، فآمالنا قوية في إزالة كل الصعوبات التي تعرض، وهذا اعتقادنا وجزمنا معتمدين على الله ثم على الأحرار المخلصين أمثالكم، وإننا وإن لم نحصل على نجاح في بعض الأحيان أو ندرك شيئا ويفلت من أيدينا، فلا يزيدنا ذلك إلا ثباتا في المبدإ وسعيا في طرق العمل، وقديما قالوا: (ليس الفخر في عدم سقوطك بل في نهوضك كلما سقطت) .

أخي، إن طرق الفلاح قد بدأت تظهر لنا شيئا فشيئا، فقديما لم نكن نحلم بإيجاد مجلة وطنية حرة تدافع عن المغرب المسكين في حقوقه المهضومة حتى تهيأت الأسباب وصارت اليوم هى المنبر العام لجميع المغاربة يجهرون فيها بما يصيبهم ويحتجون بواسطتها مما يلحق بهم. والآن وقد تهيأت الأسباب للارتقاء إلى مرحلة أخرى أعلى منها، وهى مرحلة

إنشاء مجلة أسبوعية وطنية سياسية تكون إن شاء الله لسان حال أهل المغرب قاطبة وعلى الأخص منهم الشباب الحي وستكون بوطننا العزيز تصدر باللغة العربية، ويحررها نخبة من رجال المغرب الأكفاء. ولا تسأل عن ابتهاج وسرور سائر الطبقات من شيوخ وشباب لما سمعوا بإصدار هاته المجلة، فكنت لا ترى إلا قلوبا منشرحة وثغرا باسما بسبب هذا الخبر، وهذا يدل على أن الأمة المغربية المنكودة الحظ شعرت وعلمت مقدار احتياجها لوجود مجلة تكون لسان حالها في كل الأمور. وإن قدر الله وحزنا على الإذن في إصدار هاته الجريدة - وهو شيء مفروغ منه - فهناك سيظهر المغرب بحلته الإسلامية الوطنية الطرفة، وهكذا نتقدم يوما فيوما إلى أن تهيأ الظروف فـ ...

أخي، ذكرت في كتابك أنك تريد أن تكتب لي بصورة منظمة كي تفيدني بكل الأخبار الرائجة عندكم، سواء ما كان عن المغرب أو العالم الإسلامي قاطبة، فكم كنت مسرورا بقولك هذا وكم كنت مترقبا لورود كتاب آخر مفيدا بكيفية التنظيم وتعيينه وأنا بدوري سأجيبك عن كل مطالبك وأخبرك بما عندنا من الأخبار، سواء المسر منها أو المحزن.

أخي، أعتقد وأجزم بأنني أنا الأخ الذي يقوم بكل ما يجب نحو أخوتكم، وكم أكون مسرورا إذا طلبتم مني حاجة أو اقترحتم على اقتراحا أو أرشدتموني لما فيه المصلحة، فأنا لست من هؤلاء الذين تغلبت عليهم الأنانية وإنما أنا رجل غايتي من الحياة حياة أمتي أحيا في سبيلها وأموت في الدفاع عنها.

بلغ سلامي لكافة الأصدقاء من عرفت ومن لم أعرف، وعلى الأخص الأخ عبد المجيد الذي لم يتذكرنا والحمد لله ولو بتهنئة بعيد والسلام.

أبو بكر القادري

أرجو أن تخبرني عن رحلتكم الميمونة وإلى أين وصلت والأفراد الذين أسعدكم الحظ بالاجتماع بهم، أرجو كل هذا بتفصيل.

ومن رسالة وجهها السيد الهاشمي الفيلالي إلى سعيد حجي بدمشق في 24 ذي القعدة 1351 موافق 21 مارس 1933 يخبره بالزيارة التي قام بها لبلادنا روبير جان لنكي عضو لجنة الرعاية لمجلة « مغرب » التي كانت تصدر باسمه بباريس، يقول فيها:

أخي العزيز السعيد،

وصلني كتابك الكريم وتأخرت في الجواب لأن يوم وصوله إلينا وصل الأخ أحمد بلافريج والمسيو لونكي مدير مجلة « المغرب » والمحامي، بقصد أخذ التفاصيل عن قضية السيد المتهم بقتل يهودي والمحكوم عليه من قبل المحكمة الفرنسية بعامين سجنا وخمسين ألف فرنك دية، لأن القضية وقعت في التراب البربري، وبناء على الظهير تدخل للمحكمة الفرنسية، وإن كان الجاني والمجنى عليه مغربيين، وقد كنا نود أن نقيم لهما احتفالا فخما لاستقبالهما، ولكن وزارة الخارجية لم تأذن للمسيو لونكي بالدخول إلا على شرط ألا يحدث شيء من هذا. ولكن وإن لم يقع له استقبال رسمي، فمنذ دخوله لفاس والاحتفالات به متوالية. وفي الجمعة قبل هذا أقمنا له نزهة حضرها عدد من الشبان، كان لها وقع كبير في نفسه، ربما سأوجه لك صورها، ومما زاد في إقبال الناس عليه تواضعه الكبير وأخلاقه اللطيفة وعطفه العظيم على كل فرد فرد، حتى أنه ليحاول إبداء عواطفه بالإشارة، لأنه لا يتكلم إلا بالفرنسية، واستحسانه كل عوائد المغرب، وتفضيلها على عوائدهم، وقيامه بها، فهو يأكل معنا على طاولة واحدة بيده بدون ملعقة ولا آلة، وينزع الحذاء من رجله، ويجلس كما نجلس، وبإيجاز يقدر عواطفنا وكل شيء آخر من شبابنا نحن المثقفين، وسنقدم له هدية ثمينة للغاية من الآثار المغربية الفنية، وقد أبدت الحكومة احتياطات كبيرة، ومراقبة عظيمة، لمن يقابله أو يجتمع به أو يتذاكر معه، ولكن لم يؤثر شيء من ذلك، نعم كان له أثر في نفسه، فأبدى سخطا كبيرا، واستياء من الأعمال العسكرية مثل هذه، فإنه كان يمر ليلا من محل إلى محل، فيجد الأبواب موصدة والحراس يراقبون كل غاد ورائح بدقة، ومنهم المسلح علنا ... الهاشمي الفيلالي

كيف نشأت فكرة « المطالب المغربية؟ »

تلقى سعيد حجي بدمشق رسالتين أولاهما من أبي بكر القادري وثانيتهما من المرحوم محمد حصار تخبرانه بالمشروع الذي أعرضه هذا الأخير على أنظار المسؤولين في الحركة الوطنية، وهو عبارة عن وثيقة تشتمل على عدة نقط، مقترحا أن يتخذ كستراتيجية للعمل الوطني وبرنامج يرمي إلى أهداف عملية نسعى لتحقيقها.

وكتب السيد أبو بكر القادري مخبرا « بما قر عليه العزم من وضع مشروع الإصلاحات التي يجب أن تتظافر الجهود على تحقيقها » .

ومما كتبه صاحب المشروع ما يلي:

« إن الإدارة الفرنسية تتهمنا بأننا لا برنامج وطنيا لنا، وليست لنا مطالب نسعى إلى تحقيقها، وإنما غرضنا التشويش وإثارة الأفكار، ولذلك فقد فكرت في وضع هذه النقط، لأقدمها لكم قصد دراستها وجعلها أساسا لمطالب وطنية، وبرنامجا نسعى لتحقيقه، ... »

فأجاب السعيد مخاطبيه محبذا للفكرة، ولدى دخوله إلى المغرب في موسم الصيف لسنة 1933 اقترح عليه السيد اليزيدي أن ينضم إليه وإلى الحاج عمر بن عبد الجليل في لجنة مصغرة لوضع مشروع كامل لمطالب الشعب المغربي، فسجل في مذكرته ما يلي:

« كتب لنا الأخ محمد حصار في رسالة والأخ أبو بكر القادري في رسالة أخرى بدمشق يعلنان فيهما اقتراح الأخ محمد حصار في تكوين برنامج عام للحركة الوطنية، يجمع المطالب المغربية، وعندما رجعت إلى الرباط في صيف تلك السنة، أطلعني القادري على مشروع الأخ حصار في هذا الشأن، وعلمت أن وفدا من « سلا » قدم هذا المشروع للأخ محمد اليزيدي. أخبرني اليزيدي بالمشروع وقال لي: إن الإخوان الفاسيين كانوا يفكرون أيضا في ذلك، وإنهم يحبذون أساس المشروع، ويريدون درسه درسا وافيا، غير

أنهم يريدون أن يكون ذلك في جو من الكتمان التام، ولأجل تحقيق هذا الكتمان، ... فإنهم يرشحونني للانضمام للجنة التي ستدرس هذا المشروع، وإنها تتألف من الإخوان: الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي والحاج الحسن بوعياد وأنا المجتمعين في الرباط وباستشارة الأخ علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني واستشارة (غازي) عندما يحضر من آسفي إلى الرباط في بعض الأحيان، وفعلا شرعت هذه اللجنة تجتمع مرتين في اليوم بدار اليزيدي من الساعة التاسعة صباحا إلى الثانية عشرة، ومن الساعة الثانية إلى السابعة مساء، وظلت اجتماعاتنا أربعين يوما متوالية، وكانت مثمرة ومفيدة للغاية، حيث استطعنا درس جميع النواحي المفتقرة إلى الإصلاح بالمغرب، وتوسعنا في درس جزئيات ، واحتجنا إلى مطالعات كثيرة، ومناقشات عديدة، ومشاورة عدد آخر، دون أن يطلعوا على غايتنا من الأفراد الذين لهم معرفة بالشؤون المغربية.

وما كادت تمر هاته الأربعون يوما حتى كانت المطالب المغربية قد وجدت في مجموعها، وإن كانت ما زالت محتاجة إلى التنقيح وإعادة النظر في كثير من المسائل، وعندما انتهت الصيف توقف درس المطالب، ولم يجدد النظر فيها إلا عندما وقعت صدمة ماى 1934 (إثر الحوادث التي عقبت زيارة محمد الخامس لمدينة فاس) .

ولما رجعت من سوريا عام 1934 أخبرني الأخ محمد اليزيدي بأن المطالب التي درسناها في الصيف الماضية، قد أطلعوا عليها الأخ المكي الناصري على اعتبار أنها لم تدرس، وإنما هى اقتراح تعاون على إيجاده الأخ محمد اليزيدي والأخ عمر بن عبد الجليل كيلا يغضب من عدم اطلاعه على كيفية درسها وعدم انخراطه في لجنتها، ولقد جد الناصري في درس تلك المطالب، وأضاف إليها مواد جديدة، ونقح شيئا منها مما جعلها أكثر انسجاما، وأنضج تكوينا.

وخلال اجتماعي به مرة، أخبرني بالمشروع، مظهرا لي قيمة العمل، ومفتخرا به، فتظاهرت بعدم علمي به، وأظهرت إعجابي » .

ومن رسالة بتاريخ 26 اكتوبر 1933 بعثها سعيد حجي من القاهرة إلى السيد أبي بكر القادري في شأن إصدار نشرة دورية بالقاهرة عن الحالة بالمغرب جاء فيها:

حضرة الأخ العزيز أبي بكر القادري، سلاما وتحية،

هذه أول رسالة أكتبها إليكم من القاهرة، وإني لأنتظر رسائلكم بفارغ الصبر مع أخبار المغرب وما جرى فيه من حوادث ومسائل منذ غادرته للآن، وأبلغكم تحية الإخوان التطوانيين المقيم الآن بينهم، وهم في غاية الحماسة والاستعداد لأي عمل فيه نفع للوطن العزيز. لقد تذاكرت معهم طويلا في مسألة النشرة واتفقنا على خطتها نهائيا وسنبدأ قريبا بتنفيذ الفكرة إلى حيز العمل، إنما نحن نفكر الآن في طرق توصلكم بها بالمغرب، فلتوضح لنا ما يظهر لكم في ذلك السبيل توضيحا تاما بعد أن تزودنا بأخبار البلاد وحوادثها ، ولا يخفى عليكم أننا سنرسل إليكم كمية كبيرة فلتقدرها لنا كذلك، إذ سنكون في المستقبل معتمدين على إعانة مادية منكم. قضية المطالب مهمة للغاية، فلتوضح لي ما تمر عليه من خطوات، ولتذهب إلى الأخ اليزيدي وتخبره أني أخبرتك منفردا بكل الأدوار التي مرت عليها قضية المطالب قبل سفري بيومين لا غير، وتعاهده أن لا تصرح بما يروج في شأنها بينكما لأحد غيري. هذه الرسالة موجزة للغاية وسأكتب إليكم في المستقبل وإنما أنتظر جوابكم ، والسلام سعيد حجي

وجاء في رسالة وجهها السعيد إلى أبي بكر القادري من القاهرة في 4 ماى 1934 ما يلي:

حضرة الأخ العزيز،

منذ يومين وصلتنا الجريدة الرسمية وفيها نص تغيير الظهير البربري المرسلة من أخوتكم ، وكذلك وصلتنا جملة في رسالة الأخ محمد حصار يذكر فيها التغيير، غير أننا لحد الساعة لم نستطع أن نعرف رأيكم ورأى الإخوان العاملين في هذا التغيير؛ ثم إن نص التغيير محتاج إلى شرح وإيضاح ودرس، لهذا فلم نستطع أن نستفيد منه إلا أن المسائل الجنائية البربرية أحيلت على المحاكم المخزنية بالرباط وأسس لها فرع خصوصي. وكذلك وصلتنا « عمل

الشعب » الصادرة في 20 ابريل وليس فيها أدنى إشارة، وعليه لم نعرف موقف العاملين من هذا التغيير، فاكتفينا بإخبار الصحف بإصداره، وننتظر أخباركم بمزيد الاشتياق، وخصوصا ويوم 16 على الأبواب. وقد كنت كتبت لكم في شأن 16 ماى رسالتين أخبركم أنه ليس في استطاعتنا نطلقا أن نقوم بعمل إلا إذا مهدتموه لنا نظرا لأشغالنا المدرسية، ولم يصلنا منكم جواب. لهذا فإن يوم الذكرى سيمر هادئ سوى من بعض مقالات ستنشر فيه، ثم إن مسألة التغيير هذه أوقفتنا عن العمل ريتما تصلنا أخباركم.

سعيد حجي

ومن رسالة بعثها السعيد إلى الحاج عمر بن عبد الجليل بباريس جاء فيها:

حضرة الأخ العزيز سلاما وتحية،

وبعد، منذ غادرتم المغرب إلى باريس لمواصلة العمل الوطني، والأحوال بالمغرب تسير من سيئ إلى أسوء، والعاملون أمام ذلك الحال في موقف غريب. وقد فكرت أن أكتب لكم هذه الرسالة لأوضح لأخوتكم وللأخ الوطني الغيور السيد محمد الوزاني وضعية حركتنا في الظروف الأخيرة كما تتراءى لنا، فمنذ اليوم الذي منعت فيه الصحف الوطنية بالمغرب والإدارة تستغل كل فرصة للتنكيل بالوطنيين، وتعمل جهدها في محاربتهم، بينما الوطنيون لم يقدموا على عمل مثمر، يخرج الحركة من هذا الطور الشاذ إلى حالة تتقدم فيها. وقد اجتمعنا كثيرا بسائر الإخوان العاملين، فلم نجد أمامنا إلا محاولات لا تنتج أى عمل صحيح، فقد منع الأخ علال من التدريس بالقرويين، فأتى للرباط، واجتمعنا، وتليت علينا رسالتكم في شأن الاحتجاج ضد هذا المنع، وتجديد الحركة على اثره، فتذاكرنا في شأن بيان ينشر على الشعب، يوضح ما تقوم به السلطة من أعمال مستهجنة، وموقفنا إزاء ذلك، وسعينا في التفاهم معها، وإعراضها عنا. فكان الأخ الناصري يمثل المعارضة لفكرة البيان، والأخ اليزيدي يؤيده وكذلك علال، وفي ختام الحديث، قرر نشر البيان، وكلفت

هيئة منا بوضع المشروع النهائي للبيان، ولم يمر يومان حتى طويت فكرة البيان وأغلقت، والخلاصة حسب رأي الأخ الناصري أنه من واجبنا أن نرتب البيت قبل الخارج. هذه الفكرة سليمة المنطلق، ومقبولة لدى كل عامل، لكن هناك بعض ملاحظات يجب أن ندركها جيدا، وهى أن ما يفكر فيه من تنظيم البيت يحتاج إلى وقت طويل، ولا يمكن مطلقا لحركتنا أن تقف هذا الوقت الطويل ريتما تتهيي من ذلك، بل ربما إذا وقفت ستموت، ولا بد لإحيائها من مجهود عنيف، وثانيا إن ترتيب البيت بالصورة التي نتصورها في عالم النظريات لا يوافق ما في شعبنا من استعداد، وما له من تربية، ثم إن حركتنا حديثة العهد، ولا يمكن تنظيمها إلا تنظيما له حظ من البساطة، وعلينا بعد أن نخرج حركتنا من دور البساطة هذه إلى دور آخر أرقى، وذلك يكون مع الأيام، ومع كثرة وتنوع الحوادث والسير إلى الأمام. أما الأخ اليزيدي فالذي يظهر لنا منه الآن أنه حائر، أو بعبارة أوضح في مفترق الطرق، وهو يؤيد فكرة ترتيب البيت، ولكن لا يعمل لها بطريقة تستمد قوتها من القلب، وكذلك سائر الإخوان، ولكن إلى متى هذه الحيرة ؟

فالذي يظهر لي أن هذه الحيرة سيطول أمدها إذا لم نفكر جيدا في إخراج عمل إيجابي لصالح حركتنا من حيز النظر إلى حيز العمل، بصبر واستعداد، وإذا لم ننظم ولو على الأقل الآن أنفسنا ونرتب المسؤوليات ونوزع الأعمال بصورة لا يبقى معها جمود أمام الحوادث المتوالية بصورة مفزعة؛ ثم علينا أن نفكر في أعمال تساعد شعبنا على فهم الحياة، فمن المهم أن ندرك أن شعبنا لم يؤت حظا كبيرا لكى يفضل فكرة المعارضة فحسب، بل إنه لمحتاج إلى ما يغذي نفسه ويقدر أسباب الحياة في عروقه. فالحياة خطيرة جدا وأرجو أن أعرف رأيك ورأى الأخ الوزاني فيها، وقد ارتأينا أخيرا بعد مختلف التجارب أن نعمل ما نستطيع عمله ما دام الإخوان لا يعملون ولا يجدون ولا يرفضون أى اقتراح نقدمهم، فمن الواجب أن لا يطول حيرتنا وترددنا، ونرى أنفسنا مضطرين إلى العمل ولو من دون هؤلاء الإخوان الذين ظهروا في الميدان الوطني بالماضي خير أن لا نعمل ونلتزم

الحيرة، ولعل رأيكما ينير لنا ما نحن بصدده، وبعبارة أصرح إننا لا نوافق مطلقا على هذه الحالة التي وصلنا إليها، ونشاء أن نعمل ما نراه واجبا علينا، ولا نرضى الحيرة والتردد بتاتا، وقد رجع بونصو من فرنسا، وسوف لا نستفيد شيئا منه، ويرجع إلى بلاده وقد صرح أن المغرب أحسن من الجزائر وتونس. سعيد حجي

وكتب السيد المكي الناصري إلى سعيد حجي بتاريخ 19 دجنبر 1934 ما نصه:

أخي العزيز الوفى أحييك تحية خالصة،

وبعد، فقد وصلتني رسالتك الأولى والثانية وسررت بدخول الأخوين سالمين إلى البلاد.

أما تأييد إخواننا هنا فقد ذهب مع البريد الإسباني مسجلا من تطوان مختوما عليه باللك على الطريقة المخزنية، وقد نشرناه في « الحياة » وكذلك ستذهب رسالة بمضمون هذا التأييد إلى وزارة الخارجية في الأسبوع الداخل، وليست إشاعة إرساله من الرباط بصحيحة مطلقا. أما تلغرافي، فقد استغربت عدم فهمكم له في هذه الظروف، فقد بعثت أطلب أخبارا مستوفية عن القضية (قضية المطالب) وأطلب ذلك باستعجال، وهذا ما يحتوي عليه التلغراف لأن الأخبار التي وصلتنا لا تكفي الجمهور هنا، فنحن نريد نشر تلغرافات التأييد مثلا، ونريد أن نعرف رأى الجمهور في المطالب وعما يتحدث الناس اليوم، وهكذا مما لم يتكرم أى واحد من الإخوان بالكتابة به، على أني أراه واجبا بين أفرادنا المنتمين لهيأة واحدة والذين لهم من الحقوق حقوق متساوية.

مسألة الملازم ستبقى وحدها حسب رأيكم، ولكني أرجوك بإلحاح عظيم في تحصيل مدخول كتاب « الوصايا » وإرساله إلى لأنني في غاية الاحتياج لسد تكاليف الكتاب.

وأخيرا، يعود سلامي على كافة الإخوان، وثقوا أنني أعمل كل ما في استطاعتي للدعاية للمطالب، وسترى ذلك في بعض الأشياء التي نشرتها بعدد « الحياة » ، وبلغ تحياتي الخالصة لجميع الإخوان العاملين ولوالدكم المعظم. أخوكم المكي الناصري